

شرح أصول الكافي

[161] الأخرى الأبدى كما قال سحره فرعون عند وعيده بالقتل والصلب: * (لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون) * فلم يبالوا بوعيده وإضراره لعلمهم بأنهم عند الله في زمرة المقربين. وكأنه (عليه السلام) عرف أن الغرض من وصول الفتح إليه أن يعرف حقيقة قوله (عليه السلام) من اتقى الله فإن هذا الكلام في الحقيقة تفسير له. (ومن أسخط الخلق) بفعل ما يوجب غضبه وعقابه (فقمين) في المغرب: هو قمن بكذا وقمين به أي خليك، والجمع قمنون وقمناء، وأما قمن بالفتح فيستوى فيه المذكر والمؤنث والاثنان والجمع، وفي كتاب إكمال الإكمال قمن بكسر الميم صفة يثنى ويجمع ومعناه: خليك وجدير، وبفتحها مصدر لا يثنى ولا يجمع، وعلى هذا قول الجوهري: قمن أن يفعل كذا بالتحريك أي خليك وجدير، لا يخلو من شيء. (أن يسلط الله عليه سخط المخلوق) ترتب استحقاق ذلك على إسقاط الخلق أمر ضروري وقد يكشف الله تعالى عن سره ظاهراً حتى يبغضه إليهم ويعرفهم أنه ممقوت عنده ليمقتوه أو يضربوه أو يقتلوه وقد يكشف عنه باطنا فيشاهدون حاله بمرآة قلوبهم فيمقتونه، ومن هذا القبيل ما روي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: لأعبدن الله عبادة أذكر بها، فمكث مدة مبالغاً في الطاعات وجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قالوا متصنع مرائي، فأقبل على نفسه وقال: قد أتعبت نفسي وضيعت عمرك في لا شيء فينبغي أن تعمل لله سبحانه، فغير نيته وأخلص عمله فجعل لا يمر بملأ من الناس إلا قالوا ورع تقى. ثم أشار إلى بعض ما يسخط الخلق وهو وصفه بما لم يصف به نفسه بقوله: (وأن الخلق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه) من الأسماء الحسنى والصفات العليا، ثم أشار إلى أن القوى المدركة الإنسانية عاجزة عن إدراك ما له سبحانه من الصفات كما هو حقه توضيحاً لما ذكر بقوله: (وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه) لتعلق إدراكها بالأجسام وكيفياتها وتنزهه تعالى عن الجسمية ولواحقها (والأوهام أن تناله) لتعلق إدراك الوهم بالمعاني المتعلقة بالمادة ولا يترفع عن الأمور المربوطة بالمحسوسات (والخطرات أن تحده) لأن عظمة كماله في ذاته، وصفاته أجل وأرفع من أن تنالها الأفكار الدقيقة وتحدها بحد ونهاية (والأبصار عن الإحاطة به) لأن الإحاطة بالشئ فرع لانقطاعه وانتهائه وجانب الحق منزّه عنهما (جل عما وصفه الواصفون وتعالى عما ينعتونه الناعتون) لأن كل وصف اعتبروه وإن كان كاملاً وكل نعت تخيلوه وإن كان جلالاً فهو موصوف بالنقصان ومندرج تحت الإمكان، ومن البين أن رتبة الواجب بالذات أعظم من أن تتصف بالنقصان وأرفع من أن يعرض له الإمكان. (نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب وفي قربه بعيد) نأيته ونأيت عنه أي بعدت،

